

# خوسيويدري في كتب النجاة

## دراسة تحقيق وتقويم

رسالة تقدم بها

مازن عبد الرسول سلمان الزيدي

الى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة

في اللغة العربية، وآدابها .

بإشراف

أ.م.د. صالح هادي القرشي

نيسان ٢٠٠٦م

ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمدُ لله على سابع نعمائه ، ووافر آلائه ، وفضله ، وإحسانه . وأزكى الصلاة وأتمّ التسليم على خاتم النبيين إمامنا محمدٍ نبيّ الرحمة والهدى ، وعلى آل بيته الطيبين الأطهار ، ورضي الله عن صحابته الغرّ الأبرار ، وتابعيه الأخيار .  
ويعُدُّ :

فقد ترك لنا سيبويه (بحراً) كثيرةً دُررُهُ ، وفريدةً شموليته ، وإحكامه ، وجدته . لم يستغن عنه طالب العربية خلال العصور . ولم يتجاوزهُ متلهفٌ لمعرفة أصولها ، واستشرف محاسنها ، والوقوف على جمالياتها وروعيتها . ولا غرابة : فهو مؤسس أحكامها ، ومنهلها الصافي ، ووردُها العذبُ الذي يرتشف منه المتعلمون ، ويلجأ إليه العالمون سراجاً لأفكارهم ومناراً لأقوالهم ، ومن ههنا كان سيبويه حاضراً بقوة في الفكر النحوي بعده ، وتعددت النقولات عنه ، وكثُرَ الاستشهاد بأقواله ، وتنوعت الإشارة إليه ، فكانت كلما جالت مخيلة أحدهم تستتطق حكماً ، أو تنقده ، أو ترجّحه . ترى في أفقها مُحلقاً : حُجَّةً ، ومَوْئِلاً ، وسنداً ، ومنهلاً .

وهذا الأمر جعلنا نفكر جدياً في محاولة بحث طبيعة هذا التعامل مع نحو سيبويه ، نقلاً ، وفهماً في مؤلفات النحاة اللاحقين والتي شملت (ثمانين) مؤلفاً نحوياً ابتداءً بـ(المقتضب) للمبرد(ت٢٨٥هـ) ، وانتهاءً بـ(حاشية الخصري(ت١٢٨٧هـ) على شرح ابن عقيل) . وهي المصادر التي وقعت بين يدي . فجاءت هذه الدراسة لتتناول تلك الأقوال ، والآراء الكثيرة التي عُزيت الى سيبويه في هذه المؤلفات محاولةً تحقيق ما نُسب إليه منها خطأً ، وما فهم منها غلطاً وتقويمهما ، وما ترتب على ذلك من تبدل للمفاهيم بين تلك المرحلتين . ولأبدٍ ههنا من توضيح المقصود بالتحقيق والتقويم. أما التحقيق: فهو تفعيل من:(حقّ).وورد في اللغة بمعنى:(الإثبات) ذكرابن منظور:حقّ الأمر،وأحقّه،أي:أثبتّه وصار عنده حقاً لا يُشكُّ فيه. وأحقّتهُ: إذا غلبته على الحقّ

وأثبتته عليه ، وتحققَ عنده الخبرُ ، أي : صحَّ<sup>(١)</sup> وهو من ههنا : " رَجُعُ الشيء الى حقيقته بحيث لا يشوبه شبهة ، وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيء بالوقوف عليه" (٢) .

وقد عُرِفَ التحقيق مصطلحاً في مجال (تحقيق النصوص التراثية) بتقديم صورة لها أقرب ما تكون الى الأصل على وفق منهج محدد ، وعُرِفَ أيضاً على وفق التصور الذي نتبناه هنا في مجال الدراسات النحوية ، واللغوية ، والقرآنية عموماً فلم نعدم له استعمالاً في مغان العربية ومصادرها ك(المحققون) و(أهل النظر والتحقيق) . وفي العصر الحاضر تصدّر هذا المفهوم بعض المؤلفات والأبحاث منها بحث الدكتور نهاد الموسى (تحقيق في الحال هل تقع نفيًا) ، وكتاب الدكتور فاضل السامرائي (تحقيقات نحوية) .

فالمصطلح ليس بدعاً في مجال دراسة العربية عموماً وفي النحو العربي على وجه الخصوص ، ويراد منه بحسب فهمي : محاولة التنبُّت من القضية النحوية قيد الدرس بإرجاعها الى حقيقتها التي هي عليها إن كانت نصّاً نحويّاً ، أو إثبات دليلها إن كانت فهماً للنصّ ، وهي بذلك : تتبّع استرجاعيّ بدءاً بنصوص متأخرة عوداً على نصوص متقدمة .

أما التقويم : فقد جاء في اللغة بمعنى (التعديل) ف:قَوْمته تقويماً فتقوم بمعنى : عدلته فتعدل واستقام ، وقوم ذرأه ، أي : أزال عوجَه ، وتقوم الرمحُ ، أي : اعتدل<sup>(٣)</sup> . وهو بالمعنى الذي اعتمدنا تطبيقه في دراستنا هذه وجهٌ متميزٌ من أوجه التحقيق ، ومُتمِّمٌ له ، من حيث إنّ المسألة النحوية قد تُفهم خطأً في الدرس النحوي ، بأن تُعرض صورةً واحدةً من صورها في حين أنّها عند سيبويه على غير ما فهمت منه ، أو فيها أوجهٌ أخرى مع الوجه الذي ذُكِرَ فيغدو تحقيق المسألة بعرضها على كتاب

(١) لسان العرب (حقوق) : ٤٩/١٠ ، ٥٢ .

(٢) الكليات : ٢٩٦ .

(٣) لسان العرب : (قوم) : ٤٩٨/١٢-٤٩٩ ، ٥٠٢ . أودُّ الإشارة ههنا الى أنّ ثمة بحثاً قد تناول بالدراسة هذا المصطلح عنوانه (بين التقويم ، والتقويم بحث في التصحيح اللغوي) للدكتور عدنان محمد سلمان ، منشور في ضمن كتاب دراسات في اللغة والنحو ، للباحث الفاضل نفسه : ص ١٨٠ .

سيبويه فهماً ، واستنباطاً ، واستقراءً تقويماً للرأي المتأخر المفهوم خطأً من الكتاب ، أو ناقصاً ، أو غير مكتمل عما أراده في حقيقة هذه المسألة أو تلك . وهو مصطلح متداول في الدرس المعاصر أيضاً ومنه على سبيل المثال كتاب (تقويم الفكر النحوي) للدكتور علي أبي المكارم .

وتأتي أهمية هذا الموضوع من حيث :

١- إنّه دراسة للعالم ، وأرائه النحوية في مؤلفات النحاة ، تحقيقاً ، وتقويماً وصولاً الى معرفة الكيفية التي فهمَ بها سيبويه أولاً ، ومن ثمّ نصّه ثانياً في التراث النحويّ اللاحق .

٢- إنّ بعضاً من هذه الآراء المعزوة خطأً إلى سيبويه ، قد شاعت في الدرس النحوي ، ومازالت كذلك ، ويُدرّس بعضها للطلبة .

٣- إنّها أول أطروحة جامعية تتناول بالدراسة هذا الموضوع في الدرس النحوي بحسب ما أُطلعتُ عليه من مصادر ؛ إذ لم تُؤلّف فيه على الرغم من مبلغ أهميته إلا بحوثٌ مستقلةٌ ، أو مباحثٌ في ضمن مؤلفات ومن ذلك : مبحث للدكتور حسام النعيمي في كتابه (النواسخ في كتاب سيبويه) بعنوان (ما نُسب الى سيبويه خطأً)، ومبحثٌ للدكتور طه محسن بعنوان (سيبويه في شرح ابن عقيل) .

لهذا كلّ سعيت الى تتبّع مواضع النقل عن سيبويه في الدرس النحوي اللاحق ، واستقصائها في عملِ الله وحدهُ يعلمُ ما بذلتُ فيه من جهدٍ مُضنٍ ، وما تحمّلتُهُ من مشقّةٍ وعناءٍ في جمعِ هذه الآراء من بطون المؤلفات النحويّة ، وموازنتها بآراء سيبويه في كتابه ، وهي الصعوبة الأخرى التي واجهتني وذلك لتفرّق آراء سيبويه في كتابه وتناثرها في أغلب الأحيان . وقد كفاني الأستاذ المرحوم محمد عبد الخالق عضيمة وصف مشقّة هذا العمل بقوله : " الرجوع الى سيبويه في كلّ مسألة من الصعوبة بمكان ولا شيء أشقّ منه ، وليس أدلّ على ذلك من أنّه قد خفي ما في

سيبويه على كثير من الأئمة الأعلام ، فكيف بغيرهم ممن لم يبلغ مَبْلغهم ، ولم يدرك شأوهم؟ " (٤).

واقترضت منهجية البحث تقسيم الأطروحة الى خمسة فصول :  
- كان الأول منها فصلاً تمهيدياً عنوانه (سيبويه والدرس النحوي اللاحق - دراسة وصفية لمنهج التعامل-) تضمن أربعة مباحث وعلى النحو الآتي :  
المبحث الأول : (ملاحح النقل عن سيبويه) وتضمن فقرتين : أولاهما : دواعي النقل عن سيبويه ، أما الأخرى : فتناولت : طرائق النقل عنه .  
المبحث الثاني : (طبيعة النقل والفهم الخطأين عن سيبويه) وتضمن أيضاً فقرتين ، أولاهما : أنماط النقل الخطأ ، أما الأخرى فتناولت : أسباب هذا النقل الخطأ .  
المبحث الثالث : (نحو سيبويه بين الثبات والتجديد) وعرضت فيه أهم ملامح التغيير الذي طرأ على مسيرة الدرس النحوي بعد سيبويه مع الإشارة الى ما استقرّ على حاله من هذا النحو .

المبحث الرابع : (كيف فهم سيبويه في التراث النحوي اللاحق؟) وتناولت فيه حقيقة فهم النحاة لسيبويه ، وكتابته ، وذلك بعرض بعض النصوص التاريخية ، وآراء بعض الباحثين المعاصرين الذين فهموا منها أن ثمة فصلاً قد تمّ في الدرس النحوي بين الرجل ، وكتابه ، ومحاولة مناقشتها والردّ عليها . وصولاً الى إعطاء تصوّر عن كيفية فهم النحاة لآراء سيبويه ، وأقواله في الدرس النحوي عارضاً بعض ملامح القصور في هذا الفهم .

أما الفصول الأربعة الباقية فقد تضمنت (الدراسة التطبيقية) والتي تناولت فيها تحقيق المسائل التي نُقِلت عن سيبويه، وفُهِمَتْ خطأً وتقويمهما ، وقد تناولت هذه المسائل كلاً في موضوعه وعلى النحو الآتي :

- الفصل الثاني : (المقدّمات النحويّة) وقسمته على ثلاثة مباحث تناولت فيها :  
الكلام وما يتألف منه ، والإعراب والبناء ، والنكرة والمعرفة .

- الفصل الثالث : (المركّب الأسمي ونواسخه) وتضمّن مبحثين : المبتدأ والخبر ، ونواسخ الابتداء .
- الفصل الرابع : (المركّب الفعلي) وتضمّن أيضاً مبحثين : الفعل (نواصبه ، وجوازمه) ، والفاعل ونائبه .
- الفصل الخامس : (متعلّقات الجملة) وتضمّن أربعة مباحث تناولتُ فيها : المنصوبات ، والمجرورات ، والتوابع ، والأساليب .

وسبقت كلّ ذلك مقدّمةً ضمّنتها الحديث عن أهمية الموضوع ، ودواعي اختياره ، وأقسامه ومنهجه ، وتبعها خاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها ، ثم أتبعْتُ ذلك بنبّاتٍ للمصادر والمراجع التي استعنتُ بها في هذه الإطروحة .

أما المنهج الذي اعتمدته في هذه الدراسة فقد تأسّس على مبدأين :

أولهما : اعتماد القراءة التحليلية الموضوعية لنصوص الكتاب ، وقراءتها كما هي ، لا تفسيرها على وفق نظريات وأحكام بعيدة . وهذا لا يلغي الاستعانة على فهم هذه النصوص بعبارات بعض النحاة ، ولأسيما القريبين منهم من عصر سيبويه ، وكذلك شراح الكتاب كالسيرافي .

أما الآخر : فهو التزام منهج خاص في النظر الى آراء سيبويه التي طالما غفّل عنه الباحثون في كتابه ويمكن أن يصطّح عليه بـ(النظرة الكلية) ، وأعني بها : محاولة تتبّع آراء سيبويه المتفرقة في المسألة الواحدة وجمعها ، ولمّ شتاتها، لإعطاء صورة أقرب ما تكون الى حقيقة رأيه تُستلخص من مجمل هذه الآراء لا من رأي واحد منها؛ لأننا نحسب أنّ آراء سيبويه في المسألة الواحدة ، والمبثوثة في كتابه لو جُمعت فإنّ بعضها يُفسر بعضاً في الغالب.

ومن دواعي الأمانة ، والإخلاص ، والاعتراف بالحسنى أنّ أوّجّه الشاء ، والشكر الى كل من كانت لهم يدٌ بيضاء في سبيل إتمام هذه الإطروحة . وأخصّ بالذكر منهم أستاذي المشرف د. صالح هادي القريشي على ما بذله من جهد في قراءة فصول

هذه الإطروحة على ما بها من طول ، وما يداخل موضوعاتها من مشقة وعناء ،  
فجزاه الله عني خير ما يجزي عباده الصالحين .

وأساتذتي في قسم اللغة العربية في كليتي الآداب ، والتربية داعياً الله لهم جميعاً  
بالخير ، والمغفرة . والى كل الأهل ، والأحبة على مساندتهم إياي طوال مدة انجازي  
هذه الدراسة .

وأخيراً فهذا جهدي الذي بذلته بفضل الله ، وعونه . أتمنى أن أكون قد أسهمت به  
في خدمة تراثنا الأغر ، وعريبتنا الخالدة من خلال خدمة أول كتاب نحوي فيه ،  
والذي كان له الفضل الذي لا يُنكر ، والأثر الذي ما أنفك يذكر . فإن كنت قد  
وقفتُ فبمنّ الله وحده ، منه نستمدُّ التوفيق والسداد ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ،  
وحسبي أنني بذلت معه غاية الجهد ، والصبر ، والأناة ، والإخلاص . أسأله تعالى  
العصمة من الزلل ، وأدعوه أن يجزيني جزاء المجتهدين ، وأن يمنّحني من نعمة  
الإخلاص لوجهه الكريم ما يقيني من الخطل في القول ، والزلل في اللسان.

ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير

الباحث